التوازن المستحيل في السياسة العراقية

التصريحات التي ادلى بها وزير الخارجية العراقي سعدون حمادي وقال فيها "انه من غير الصائب اثناء تكتلات عربية طويلة المدى، اعتبرها العراقيون السياسيون بمثابة معارضة عراقية واضحة للمحاولات المبذولة حاليا لاحياء جبهة الصمود والتصدي، وما يعنيه ذلك من تطوير لمستوى المواجهة مع الامبريالية الامريكية و "للسلام الامريكي" الذي يجري ترتيبه وفق اتفاقات كامب ديفيد.

واذا ما ربطت هذه التصريحات بجملة من المظاهر الاخرى وخاصة اقوال السفير العراقي في البحرين عن استعداد حكومته لارسال قواتها من اجل الدفاع عن اية دولة خليجية تتعرض "للتهديد" الخارجي، ينضح ان حكام العراق يستعدون في الوقت الحاضر للقيام بدور جديد ينفذون من خلاله احلامهم القديمة في الهيمنه والتوسع في تلك المنطقة.

ولكن ما هي الاسباب الكامنة وراء هذا التهيج ...؟

يعترف انصار النظام العراقي وخصومه بأن حزب البعث الحاكم في العراق "يمر باعمق ازمة له طوال مسيرته الدموية المضطربة" حسب تعبير الصحفي البريطاني ديفيد هيرست في صحيفة الغارديان ٨/٥/١٩٧٩. ولا بد من التساؤل عن الاسباب التي تدفع صحفيا واسع الاطلاع الى اطلاق مثل هذا الحكم. اذ من المؤكد ان الاحداث الاخيرة التي وقعت في داخل الحزب الحاكم في العراق لم تكن الاولى من نوعها كما لم تكن استثناءا في اسلوب تعامل البعث مع خصومه. والمتابعون للوضع في داخل العراق لم ينسوا احداث ١٩٧٣/٦/٣٠ ومؤامرة ناظم كزار لقلب نظام الحكم من الداخل كما لم ينسوا ان كل الاسماء التي لمعت بعد ١٧ تموز ١٩٧٨ زالت عن مسرح الاحداث اما "لتآمرها" او "لتعرضها لحادث مؤسف". لكن احداث تموز ١٩٧٩ ستترك آثارا اعمق بلا شك على مسيرة الحكم العراقي من كل تلك الخلافات الداخلية السابقة ومحاولات القصور لا لان القائمة الاولى من المشاركين تضم حوالي ٥٠ عسكريا برتبة مقدم و ٧٠ عضوا من شعب الحزب في بغداد و ٣٢ عضوا من قيادات فروع الحزب في المحافظات وثمانية اعضاء من قيادة اتحادات العمال من بينهم رئيس الاتحاد وقائد فيلق عسكري (جريدة السفير اللبنانية ٢٩/٧/١٩٧٩) فحسب بل لان هذا الانقسام يأتي في ظرف تفاقم المعارضة الداخلية واتخاذها ابعادا متسعة. ومظاهر متنوعة، طبقية وقومية ودينية ايضا. بل يمكن الجزم بأن المحاولة التي سمتها الاجهزة الرسمية في العراق بـ "الانقلابية" لم تنضج الا تحت ضغط هذه المعارضة المتسعة ونتيجة احساس عدد متزايد من كوادر حزب البعث نفسه بأن طريق تلافي انهيار الوضع لن يتم عبر اطلاق شتى التهم والتصفيات الديماغوجية لمعارضي السياسة القائمة، وهو ما درجت عليه اجهزة الاعلام، بل لا بد من احناء الرأس امام العاصفة ومحاولة اجراء اصلاحات في نظام الحكم تقلل من السخط الجماهيري الذي يجابهه.

وليس عبثا ان ثلاثة من بين من نفذت فيهم احكام الاعدام هم من قادة اتحاد نقابات العمال الرسمي الذي وان ظل واجهة حكومية تسيطر عليها ارستقراطية عمالية مغرمة بالامتيازات الا انه يعتبر جهازا اكثر تحسسا بالضغوط العمالية وتذمرات العمال الذين لا تخفي قطاعات واسعة منهم (وبخاصة في المعامل الحكومية الكبيرة) ولاءها للحزب الشيوعي العراقي. ويصح القول نفسه بالنسبة للانتماءات الطائفية لغالبية قادة "المحاولة" والمناطق التي ينحدرون منها.

الانكفاء عربيا

ومنذ الان بدات النتائج الاولى لتعزق القمة الحاكمة تنعكس على سياسة العراق العربية والدولية وعلى سياسته الاعلامية وتعامله مع معارضيه في الداخل. فالانكفاء عن المحرى الوطني العام في حركة التحرر العربية بدأ يظل براسه من جديد واختفى الحديث عن اهمية ميثاق العمل القومي بين العراق وسوريه كحجر اساس في بعث الجبهة الشرقية ولم تفت المراقبين ملاحظة تجنب السيد صدام حسين الالتقاء بالرئيس حافظ الاسد في قمة هافانا. وبدل ذلك بدأ الاردن يحتل دور "الابن المدلل" للسياسة العراقية التي لا تبخل عليه بالمساعدات المالية كما لو كان الامر محاولة لخلق رديف يعوض عن التنسيق مع سوريا.

وبعد هذا كله من حق المواطن ان يطرح جملة تساؤلات، ابرزها لم يعلق دور العراق ونقله عن المساهمة في حركة التحرر العربية؟ الم يكن هذا السؤال نفسه مطروحا من قبل السلطات الرسمية في العراق على معارضيها؟ الم يعتبر الحكم العراقي معيار الوطنية والقومية، التوقف عن كل عمل جماهيري مستقل والامتناع عن معارضة السياسة الرسمية لان ذلك يعبق العراق عن "تادية دوره القومي". وبالتالي "فان الموقف من الحكم العراقي هوعينه الموقف من القومية العربية؟"

نعتقد ان الوقت حان للاجابة بكلمة صريحة. فبعيدا عن كل تضليل لا بد من القول بأن بين الحديث عن القضية القومية وبين ممارسة سياسة قومية فعلا بون لا تردمه كل العبارات الطنانة.

اذ ان سخونة الاحداث، كما يبدو، اذابت الجليد عن الحاجز المزدوج لمفهوم القضية القومية. ففي تصريح للسيد نعيم حداد نائب رئيس الوزراء بتاريخ ١٩٧٩/٨/١٠ ظهرت احدى حيثيات اتهام المتآمرين بانها (الاتصال بقوى اجنبية خارج الحدود). وظهر فيما بعد ان الجهة المقصودة، رغم نفيها مرارا واعلانها الاستعداد للاشتراك في لجنة تحقيقية، هي جهة عربية مجاورة. واذا بالحدود المصطنعة التي بررت تنظيم البعث على اساس قومي، واعتراف العراق بانه مركز لتحرك كل تنظيمات الحزب في المنطقة العربية، تصبح في هذه الحالة حدودا ثابتة للوطن وان اي اتصال بالخارج يغدو "اتصالا بالاجنبي".

وعوض ذلك فان السياسة القومية الاصيلة تتمثل في الدفاع عن التراب العربي ضد اي محتل، لان الجيش العراقي سيقاتل الاتحاد السوفييتي اذا احتل السعودية. وبدل هذه الدعوات الافتراضية كما نتمنى ان لا تستخدم هذه الخطب الرنانة لالهاء المواطن عن ان له ارضا محتلة بالفعل لا بالافتراض يتمنى روءيه المقاتل العراقي بحارب لتحريرها. اما التلويح باحتلال سوفييتي (تصريح صدام حسين لرجال الاعلام الفرنسيين في ١٩٧٨/١٠/٢٠، وتصريح له في ١٩٧٩/٤/١٠ امام

وزعت وكالة الانباء العراقية بتاريخ ٢٠ / ١١ / ١٩٧٨ صورة صدام حسين التكريتي خلال استقباله لزوجة شاه ايران فرح ديبا خلال زيارتها للعراق في اوج انتفاضة الشعب الايراني.

معسكر طلابي؛ فلا نعتقد انه يطمئن المواطن العربي قدر ما يثير الارتياح في اوساط المخابرات المركزية الاميركية التي اخترعت الكذبة الكبرى حول تهديد امن الخليج وهي التي تهدد امنه صباح مساء.. بتصريحات رسمية وتحركات اساطيله وبتشكيلها لقوى خارجية، تعلن دون مواربة بانها تستهدف احتلال حقول النفط.

ويتزايد قلق الاوساط القومية التقدمية من سياسة النظام العراقي ازاء مختلف القضايا القومية وفي مقدمتها دورها السلبي النشط ضد جبهة الصمود والتصدي ومؤتمر الشعب العربي. ونمط تحالفاتها الجديدة في لبنان ومحاولة شق جبهة القوى الوطنية بها، وموقفها العدائي من اليمن الديمقراطية ومن عدد متزايد من القوى التقدمية العربية.

خطر النموذج السادات

اذن بعد هذا كله، وبعد ان خبرت شعوبنا معنى الحديث عن "الموقف القومي المستقل" عن الدول العظمى يحق لنا التذكير بأن "المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين". فبالامس فقط بدأ السادات ردته بالحديث عن "وقفة" لا غير "مع صديق" هو الاتحاد السوفييتي. وبالامس اكد السادات ان "تنويع مصادر السلاح" لا علاقه له بالموقف من المعسكر الاشتراكي، وبالامس فقط اشار السادات الى انه لن يتراجع عن خط ٢٣ يوليو...

واليوم فان من يطالع الصحف العراقية لا بد ان يشعر بالقلق لان كثيرا من الاراء والافكار المطروحة تذكر بالافكار التي تداولتها الصحف المصرية منذ عام ١٩٧١، فالحديث عن اطماع "الدول الكبرى" في الخليج يتصاعد، بل ان وزير الاعلام العراقي لم يعلق تصريحه باية عبارات دبلوماسية حين قال "يمكن القول ان هناك التقاء اذا احتل السعودية. وبدل هذه الدعوات الافتراضية كما نتمنى ان لا تستخدم هذه الخطب الرنانة لالهاء المواطن عن ان له ارضا محتلة بالفعل لا بالافتراض يتمنى روءيه المقاتل العراقي بحارب لتحريرها. اما التلويح باحتلال سوفييتي (تصريح صدام حسين لرجال الاعلام الفرنسيين في ١٩٧٨/١٠/٢٠، وتصريح له في ١٩٧٩/٤/١٠ امام النهار العربي والدولي ٧٨/٧/١) بتهمة "التآمر والعمالة" لمصلحة الامبريالية الامريكية، فلا نعتقد انه يخدم قضية الصراع الاجتماعي في مظاهره المختلفة واشكاله الى صفوف الحزب الحاكم نفسه وصفوف ممثلي الاجهزة الرسمية في داخله، وحتى الى الفرقاء كان العصور الوسطى لاحظ بعض الاحجية من قبل حزب البعث هو الخوف من سلل الثورة المضادة الى هذه الاجهزة الحساسة في بقاءها في حد التعبير نفسه وللحيلولة دون ذلك "اصطاد" حزبه الثورة الرسمية (حول التغيير في صفوف القوات المسلحة) سنصرح نائب رئيس الوزراء ان الامبريالية والثورة المضادة تطمح الى اعلى مؤسسة في هرم السلطة في العراق اي الى مجلس قيادة الثورة (نعم حداد ١٠/٨/١٩٧٩).

وبديهي فان هذه الاتهامات والاتهامات المضادة تظل غير ذات الحياة السياسة ما دام الديمقراطية غائبة عن الصورة، وما دامت الكلمة العليا تحدد من اعلى الحاشية. من هنا تبرز الديمقراطية في هذا الظرف بالذات باعتبارها المطلب الاساسي للقوى الوطنية المعارضة التي كانت القوة الوحيدة لتعامل النظام معها في المطاردات والاعتقالات والاعدامات (خلال الشهور الستة الماضية فقط اصدرت منظمة العفو الدولية نداءات بيانات عن القمع في العراق، آذار و ١٩٧٩/٧/٣١ و ١٩٧٩/٨/٢)

عن "الصياد الدولي"

تأييد اتفاقيات كامب ديفيد

بشروط أسيرة لتسليح الحسن

اكد وارن كريستوفر مساعد وزير الخارجية الامريكي لدى وصوله الى المغرب على دعم بلاده الحازم للملك الحسن الثاني والذي تعتبره احد امدادها القدامى. واضاف بان واشنطن على استعداد لمنح النظام المغربي مساعدات عسكرية اضافية من اجل "الدفاع عن سيادته الاقليمية".

ولاحظت اوساط دبلوماسية مطلعة في الرباط بان الوفد الامريكي الذي يرافق كريستوفر في زيارته للمغرب قد ضم ايضا بيتركونستيبل مساعد وزير الخارجية الامريكي لشؤون الشرق الاوسط، وروبرت مورای مساعد وزير الدفاع الامريكي لشؤون الشرق الاوسط والذي انهى زيارة لمصر استمرت عدة ايام.

وتستنتج هذه الاوساط بان مشاركة هذين المفوضين في الوفد الامريكي هدفها استخدام المغرب لعرقلة اية اجراءات قد يتخذها مؤتمر القمة العربي في مواجهة السياسة الامريكية او لزيادة عزل النظام المصري.

والمحت مجلة الايكونومست اللندنية بان الادارة الامريكية قد اختارت على ما يبدو الوقت المناسب لاملاء شروطها على الحسن الثاني بعد ان تكدت قواته خسائر فادحة في حرب الصحراء.

••

الطليعة
سياسية أسبوعية

شارع ابن سينا
ص.ب ١٩٣٧٢ القدس

صاحب الامتياز والمحرر المسؤول
الياس نصر الله

رئيس التحرير
بشير البرغوثي

الاشتراك السنوي
٢٧٥ ليرة
للطلاب ٢٠٠ ليرة

مطبعة
صلاح الدين